

## مقدمة وتوطئة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونثني عليه بما يليق بجلاله وكهاله وكبريائه.

والصلاة والسلام على خير مولود، وأسعد مخلوق، إمام الحق، وخير الخلق، أول شافع وأول مشفع، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن الحديث عن الإيمان حديث جميل وممتع؛ لأن المسلم لا يجد للحياة مذاقاً إلا إذا تفاعل مع الإيمان واستجاب له، ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا رَبِّيَكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

ولأن الإيمان هو الفطرة الطيبة، ليس فيها تردد ولا التواء، ولأن الله تعالى خلق الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأساء كلها، وأسجد له ملائكة السماء، وخلق في أحسن تقويم، وخصه بالكريم بين العالمين، وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب، ومهد له طريق الهداية، وذكره بنعمه عليه فيجب عليه أن يعبد ربه، ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤].

لا نستطيع أن نعدد آيات القرآن الكريم التي ربطت بين النعم العظمى والإيمان، ولكنك - سلمك الله - ترى في القرآن الكريم ما يدعوك إلى إعادة التفكير والتأمل

في أحوال البشر الذين نسوا هذه النعم فابتعدوا عن الحق، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٨ - ٢٩﴾.

ورغم أنه لا يُستدل بالنعم على الله ﷻ؛ لأن الله تعالى خير الشاهدين، ولكن في باب الإيثار يحتاج بعض الناس إلى ما يقوي إيمانهم بالله سبحانه وتعالى؛ ولذلك ترى في القرآن الكريم أن كل نداء بالإيمان يأتي بعده تكليف من الله لنا، كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿آل عمران: ١٠٣﴾. فوجود الإيثار واستقراره في القلب المسلم معناه أن الإنسان يستطيع أن يتلقى التكليفات عن الله ﷻ.

ولا تتحقق الأخلاق في الإسلام، ولا تظهر آثارها إلا إذا كان هناك إيمان ثابت راسخ يعطي المسلم اليقين في أنه لن تكون هناك حياة طيبة إلا بالإيمان، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿النحل: ٩٧﴾.

ورصيد الإيثار في قلب المسلم هو الذي يضيف إليه باقي الصفات الأخرى، مثل: أن يكون صبورًا حليماً ورعاً قنوعاً وفيّاً صواماً قواماً ذكراً شكاراً منياً وهكذا.. وإذا اختلف هذا الرصيد من الإيثار، فإن الإنسان سيتخبط في ضلال، ولا يقوى على تحمل مصائب الحياة، وليس عنده من اليقين ما يهون به عليه مصائب الدنيا، قال تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿الحج: ٣١﴾.

ولا يستطيع الإنسان أن يستغني عن الإيثار كما لا يستطيع أن يستغني عن الطعام والشراب؛ لأن الإيثار هو وقود القلب والروح، وحركته الدائمة، وهو النجاة من

الخوف والحزن والهم والكسل وضيق الصدر، ووحشة النفس في الدنيا، وهو النجاة من عذاب الله تعالى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٦٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤].

ولأن الإيمان له حق، وله حقيقة، فلا يبلغ المسلم حقيقة الإيمان إلا عندما يزداد يقينه بالله، فيرتفع بهذا اليقين منزلة عالية، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّعُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاقْسَحُوا بِسَاحِ أَلْفِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنشُرُوا فَأَنشُرُوا فَأَنشُرُوا بِرَفْعِ اللَّهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وليس المطلوب من المسلم فقط أن يؤمن، وإنما المطلوب منه أن يرتفع بإيمانه؛ حتى يستطيع أن يرى هذا الإيمان في دمه، ويوجه سلوكه ويستشعر حلاوة الإيمان في قلبه، فإن الإيمان له مذاق، وله حلاوة، وله جمال، وله نضارة في الوجه، وانسراح في الصدر، وله تجلياته في سلوك المسلم، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]. فكل هذه المعاني يمكن جمعها في جملة واحدة نسعى إليها جميعاً، وهي أن نصل إلى مرتبة: (كيف نتذوق حلاوة الإيمان؟).

وهذا ما يسعى إليه هذا الكتاب الذي يأخذ بيد القارئ إلى مرحلة المجاهدة في تذوق طعم الإيمان من خلال مرتبة الرضا بالله، والرضا عن الله، والرضا عن الإسلام وعن شريعة الإسلام، والرضا عن سيدنا محمد ﷺ، والرضا به ﷺ.

ويتناول هذا الكتاب ستة موضوعات رئيسة تدور في فلك الارتقاء بالإيمان في قلب المسلم، بداية من درجات الاستجابة للإيمان، ومروراً بالتعرف على درجات الإيمان، ثم الارتفاع إلى مرتبة كمال الإيمان، ثم الربط بين الإيمان واليقين معاً، وتقديم نماذج عملية لهذا الربط.

وانتقل الكتاب بعد هذا إلى تناول قضية تلقيح الإيمان، وذلك بالتعرف على معنى تلقيح الإيمان، ثم الربط بين تلقيح الإيمان والعبودية والرجاء، ثم تلقيح الإيمان بحب النبي ﷺ، ثم تلقيح الإيمان بملائكة الرحمن، وختامًا بتلقيح الإيمان في ليلة النصف من شعبان.

ثم ينتقل الكتاب بنا إلى الموضوع السادس والأخير، ويدور مضمونه حول اغتنام أيام الخيرات والنفحات التي يمنحها الله لعباده في شهر رمضان.

ولكون العبادات جانبًا مهمًّا يرتقي بالمسلم إلى مرتبة المجاهدة والتثبيت، فقد تناول الكتاب الصوم وعزائم المغفرة، وهذا التدليل على أن العبادات مجال للمغفرة، وفي الوقت نفسه يستمد المسلم منها العزيمة إذا أخلص في أداء العبادة.

ولله الحمد ومنه العون، فقد اجتهدنا في بيان معنى حلاوة الإيمان وطعم الإيمان، وكيف يصل المسلم إلى هذه المرتبة، وهذا ما تناولته فصول هذا الكتاب الذي أدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون بابًا من أبواب الخير ورفع الهمة لدى المسلمين، ويكون مجالاً لتلقيح الإيمان في قلوبنا، والمآزره والتواصي بالحق والصبر.

اللهم اختتم لنا بخير، واجعل سعيينا خيرًا، وعملنا صالحًا، واجبر كسر قلوبنا، وتجاوز عن سيئاتنا، واشملنا بعفوك ورضاك، وأذقنا حلاوة الشوق إليك، واجعل عملنا ظاهرًا مطهرًا، واكتبنا من المؤمنين حقًّا الذين يرجون رحمتك، ويخشون عذابك. والله من وراء القصد ومنه العون، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الراجعي عفوريه

أحمد عبده عوض

الثلاثاء ٢٩ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ

الموافق ١ مارس ٢٠١١ م